تأليف

الدكتور محمد عمارة

الإسلام والحروب الدينية

...ات دار علاء الدين للنشر

دمشق

دار الثقافة الجديدة

القاهرة



الإسلام
والحروب الدينية



تأليف
الدكتور محمد عمارة

الإسلام والحروب الدينية

منشورات دار علاء الدين



دمشق / ١٩٩٦ ـ ١٠٠٠ نسخة

التنضيد الضوئي : دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

الإخراج الفني : ناصر شهاب الدين

يطلب الكتاب على العنوان التالي :

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق ص.ب : ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ ـ ٥٦١٧٠٧١

تلكس : ٤١٢٥٤٥ ـ فاكس : ٢٣١٧١٥٩

الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف . وفي حال أخذ أية مادة من الكتاب يرجى الإشارة إلى المصدر .

تقديم

في كتابنا عن (الاسلام والسلطة الدينية) [1] ثبت ، بما لا يدع مجالا للشك أو التشكيك ، أن طابع السلطـة السياسيـة في المجتمع الاسـلامي : "مدني" تماما ، فلا " كهانة " في الاسلام .. وليس فيه ما يعرف بـ " السلطة الدينية " ، أو " الحكم بالحق الإلهي " ، أو نزع اختصاص الأمة بأمور حياتها الدنيا في السياسة والاجتماع والاقتصاد والحرب والتشريع .. الخ .. الخ ..

وثبت أيضاً أن موقف الاسـلام لا يعني الرضى عن دعوى " فصل " الدين عن الدولة ، فهو يرفضها بنفس القوة التي يرفض بها " وحدة " السلطتين الدينية والزمنية ، لأنه يدعو إلى " التمييز " بين السلطتين .



لكن .... !

---

(١) صدر بهذه السلسلة ـ " قضايا إسلامية " ـ فانظره ، لصلته الوثيقة بموضوع هذا البحث.

من حق السائل أن يسأل :

* ألم يستخدم الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وصحابته ، رضوان الله عليهم ، القتال لإقامة الدولة ؟ ، أو على الأقل لحمايتها وتدعيمها ؟؟ .

* وألم يجر العرف وتَشِع العادة على تسمية هذا القتال : جهاداً في سبيل الله ؟ ! الأمر الذي يجعله أدخل في باب " الدين " منه في باب "السياسة" ؟؟.

* وإذا كانت وسائل إقامة الدولة ، وحمايتها وسائل " دينية " ، ألا يضفي ذلك الصبغة الدينية على هذه الدولة العربية الاسلامية ؟ .. ويجعل لها طبيعة دينية ؟؟ ..

من حق السائل أن يسأل هذه الأسئلة .. الأمر الذي يستدعي أن نبسط للحديث عن القتال والحرب في الاسلام صفحات تجلو الحقيقة حول طابعها وطبيعتها .. خاصة وأن قوما منهم أكثر المستشرقين تعصباً على الاسلام ، ومنهم أكثر المسلمين تعصبا للاسلام - يجيبون عن هذه الأسئلة بالإيجاب ..

* الأولون ، ليثبتوا فريتهم : أن الاسلام قد انتشر بالسيف ، وأنه يكره الآخرين على الدخول فيه !

* والآخرون ليثبتوا وهمهم : أن الجهاد في سبيل الله يعني قتال المخالفين في الدين حتى يؤمن الجميع بالاسلام ويصبح الناس أمة واحدة ، ويكون الدين كله لله ! ..



وقبل أن ندع هذا التقديم إلى لب القضية نود أن ننبه القارئ إلى أن فكرنا الاسلامي يميز بين أمرين :

١ ـ " الجهاد " في سبيل الله ... الذي يعني : الدعاء إلى الدين الحق ، وبذل ما في الوسع والجهد ، قولا فعلا ، في سبيل ذلك ... فهو ـ على عكس ما يفهم البعض ـ أعم من " القتال والحرب " !

٢ ـ " القتال والحرب " في سبيل الله ... وهو الصراع المسلح والعنيف ، الذي يناقض " السلم " ، على ما هو واضح ومعروف[1] .

ذلك أن للتمييز بين " الجهاد " وبين " القتال " أهمية كبيرة في وعي حقائق هذا البحث ، والتعرف على موقف الاسلام في هذا الموضوع .. فـ " الجهاد " ـ وهو أعم من القتال ـ يعني أن على المسلم أن يدعو إلى دينه ، دين الحق ، فهو يصارع فكريا ، بالدفاع والهجوم الفكريين ، جميع الشرائع والمذاهب المغايرة لشريعة الإسلام .. أما " القتال " ـ وهو أخص من " الجهاد " ، لأنه بعض منه ـ فإنه واجب إذا هدد الآخرون دعوة الاسلام وقاتلوا دعاته واعتدوا على أوطان المسلمين أو ساندوا المعتدين على هذه الأوطان ! ...

ذلك أن الاسلام يتصور " الفكر " سبيلا لكسب الآخرين للتدين بدين الاسلام .. لكنه لا يتصور " القتال " سبيلا لذلك ، لأنه لا إكراه في الدين ،

---

(١) انظر (لسان العرب) لابن منظور . طبعة القاهرة . و (التعريفات) للجرجاني . طبعة القاهرة ١٩٣٨ م . و (كشاف الفنون) للتهانوي . طبعة القاهرة ١٩٦٢ م . و (المعجم الوسيط) وضع مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي مقابل ذلك ، هناك اتجاه آخر يجعل نظرية العلم تبدأ لا بفعل الايمان بل بفعل النظر ، فالنظر هو أول الواجبات الدينية قبل الايمان من حيث هو تسليم ، وقبل الايمان من حيث هو مضمون : الله ، الملائكة ، الكتب ، الرسل ، اليوم الآخر .. الخ ، وقبل الايمان من حيث هو ممارسة للشعائر والطقوس . فالنظر سابق على الايمان ، والفكر سابق على التسليم . فبالنظر يستطيع الانسان أن يميز بين الحسن والقبيح ، وبالفكر يستطيع الناس معرفة من يعمل لمصلحتهم ومن يعمل لاستغلالهم . فلا يمكن قبول شيء على أنه حق ما لم يثبت بالنظر أنه كذلك ، ولا يمكن التسليم بشيء أن لم نجد البرهان عليه ، وما لا دليل عليه يجب نفيه كما قال المناطقة الأقدمون . بل إنّ البعض جعل الشك في الموروث سابقاً على النظر ، وأول الواجبات ، لتأكيد الجانب الرافض في الفكر ، وهو الشك ، حتى تتكسر حدة الموروث ، وتذهب سلطة التقليد .

ومن ثم يتم رفض كل وسائل المعرفة ومصادرها الطنية وهي مضادات المعرفة مثل الجهل ، والتقليد ، والظن ، والالهام ، ولا يقبل إلا النظر بجميع طرقه مثل القياس والاستدلال والبرهان .

وهذا هو موقف اليسار الديني ، فالنظم التقدمية هي التي تعمل على محو الأمية ، وعلى نشر التعليم وعلى إقامة الحوار المفتوح بين الاتجاهات الفكرية المختلفة في البلاد . ولا تتدخل في حرية الرأي ، فحرية التعبير حق يكفله الدستور ، وتمارسه المؤسسات الديمقراطية بالفعل .

وقد يستغل اليمين هذا الموقف اليساري لصالحه الخاص وذلك بإقامة نظم سياسية على النظر ، وهي النظم الليبرالية . ولكن النظر لا يكون إلا أساس الترشيد ، والترشيد أساس التصنيع ولا يخرج كي يصبح دعامة الحياة كلها ؛ فليس من مصلحة هذه النظم إشاعة النظر عند الطبقات الكادحة كي لا تعرف حقوقها ، بل يظل قاصراً على طبقة واحدة هي الاقلية المستغلة صاحبة رأس المال ، وصاحبة إصدار القرارات السياسية أو الم؟شرة عليها . وقد يستعمل النظر لصالح شعب دون شعب ، ففي الوقت الذي يقيم فيه الغرب دعائم نهضته الفكرية والعلمية فإنه يقضي على روح الشعوب غير الأوربية ، ويقضي على

الجيوش الوطنية كفراً بالله ... ولذلك وجب علينا ، ونحن نعرض لفكر الاسلام السياسي ، النظر والتأمل والدراسة لهذه القضية ، من خلال عرضها على كتاب الله ، سبحانه ، وتراث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وتراث صحابته ومن تبعهم في القتال ! .. وذلك حتى نستخلص الإجابة الأدق ، ونعلم حق العلم : طبيعة الحرب والقتال في الاسلام ؟ وهل هي سياسية ؟ أم دينية ؟؟ ...

تلك هي مهمة صفحات هذا البحث ... التي نرجو أن يكون قد حالفنا فيها توفيق الله ... فهو ولي التوفيق .

القاهرة ـ يوليو ١٩٧٩ **الدكتور : محمد عمارة**

★ ★ ★

هل يؤمن الإنسان بالإكراه؟!

منذ البداية فإن هناك بديهيات عقلية لا يصح أن تغيب عن باحث في هذا الموضوع بديهيات تتعلق بطبيعة الإيمان بالدين ، وبالسبل التي يمكن بها تحصيل هذا الإيمان ، والتي يستحيل تحصيله بما يناقضها من الوسائل والأساليب ..

" **فالإيمان** " : هو تصديق بالقلب ، أي يقين قلبي يستقر في داخل الإنسان ، أما الأعمال الظاهرة ومنها العبادات ، فإنها " **اسلام** " ، أي ترجمة وبيان لما في قلب الإنسان .. وقد تكون مصنوعة إذا خلا القلب من الإيمان ، أي إذا افتقد اليقين .. ومادام " الإيمان " يقينا قلبيا خافيا عن الأعين مستعصياً على رقابة الرقباء ورصد الراصدين فإن حصوله وتحصيله ، بداهة ، لا يمكن أن يتم إلا بالاقناع والاقتناع ، لأن الإكراه والجبر والترهيب قد يثمر " **اسلاما** " و " **تسليما** " ، وقد يؤدي إلى " **نفاق** " ، بينما يظل القلب خاليا من " **التصديق واليقين** " ، أي خاليا من الإيمان ، ومن هنا كانت بداهة القرآن ، البسيطة والمعجزة معا ! ، عندما حدد الله فيه لرسوله سبل الدعوة

إلى سبيله : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجاد لهم بالتي هي أحسن) [1] .. فالنـاس ، في الفكـر ، طبقات .. منهم أهل النظر والتأمل والتدبر ، ودعوتهم سبيلها (الحكمـــة) - وهـــي المصطلح العـــربي الاسلامي المرادف لمصطلح (الفلسفة) .. ومنهم العامة والجمهور ، ودعوتهم سبيلها (الموعظة) .. ومنهم أوساط يتوسطون بين أهـل الحكمة وعامة الجمهور ، والجدل مفيد في إقناعهم واجتذابهم إلى سبيل الله ..

وتحـديد هذه الوسائل ، كطرق وحيدة لتحصيل الإيمان ، ينفي ، بداهة أيضاً ، أن يكون الإكراه ـ والقتال إكراه مسلح وعنيف ـ سبيلا من سبل تحصيل الإيمان .. والقرآن الكريم يعبر عن هذه الحقيقة البديهية فيقول : (لا إكراه في الدين ، قد تبين الّرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [2] فهو يؤسس أمر الإيمان على الحرية والاختيار عند الإنسان ، وينفي أن يكون القسو والجبر سبيلا لتحصيله ، حتى ولو كان هذا القسو والجبر من الله سبحانه ، وهو القادر على كل شيء ، لأنه يقول : (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! [3]) .

ونَفْيُ الله ، سبحانه ، أن يكون " **الإكراه** " سبيلا لتحصيل الإيمان يسهم في تفسير طبيعة مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وطبيعة وسائله لنشر

---

(١) النحل : ١٢٥ .

(٢) البقرة : ٢٥٦ .

(٣) يونس : ٩٩ .. وانظر في هذا المعنى تفسير (الكتاب) للزمخشري . جـ١ ص ٣٨٧ ــ طبعة بيروت (دار الفكر) صورة عن طبعة الحلبي المصرية .

الاسلام ، فهو " **مذكر** " بدين الله ، وليس " **بمصيطر** " على القلوب حتى يكرهها على الإيمان (فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر) [1] .. وفي هذه الآية المحكمة ، التي لم يصبها النسخ على الأصح ، يقول الإمام " محمد عبده " : " **إنها تحدد الأمر الذي بعث الله لأجله نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، وهو تذكير الناس بما نسوه من أمر ربهم ، فليس في سلطانه ، عليه السلام ، أن يخلق الاعتقـــــاد فيهم ، ولا من المفروض عليه أن يقوم رقيباً على قلوبهم ، ولا مصيطراً ، أي متسلطاً ، عليهم .. فالقهر لا يحدث إيمانا ، والإكراه لا أثر له في الدين** [2] ...

والاسلام عندما ينبه ، من خلال قرآنه الكريم ، على أن الإكراه في الدين مرفوض ، لأنه لا يمكن أن يثمـر إيمـانا يعتـد بـه الله ، سبحانه ، فإنه يعلمنا - كما يرى الإمام " محمد عبده " - ضمن ما يعلمنا - حقيقتين هامتين :

الأولى : أن ما شهده تاريخ انتشار الأديان ، خاصة قبل ظهور الاسلام ، من حروب أكرهت أقواما على اعتناق الدين ، **هو نشاطات سياسية وحروب سياسية لا علاقة لها بالدين ، حتى وإنْ رفع أصحابها أعلام الدين واستظلوا بألويته وراياته** .. فليست هناك حروب دينية ، لأن غايات الدين والايمان بعقائده لا تتحقق بالإكراه - والحرب إكراه مسلح وعنيف - وما سمي بالحروب الدينية إنْ هو إلا نشاط سياسي وقتال سياسي لا ديني .. " ... لقد كان معهودا

(١) الحاشية : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) (الأعمال الكاملة للامام محمد عبده) جـ ٥ ص ٣٩٦ . دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م .

عند بعض الملل حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه . وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين . لأن الإيمان ، وهو أصل الدين وجوهره ، عبارة عن إذعان النفس ، ويستحيل أن يكون الإذعان بالالزام والإكراه ، وإنما يكون بالبيان والبرهان .. ومن هنا كانت آية : (لا إكراه في الدين) قاعدة كبرى من قــواعد دين الاســلام وركنا عظيماً من أركان سياسته ، فهو لا يجيز إكراه أحد على الدخــول فيــه ، ولا يسمح لأحد أن يكره أحداً من أهله على الخروج منه ..." .

والثانية : أن الجهاد في سبيل الله - وهو أعم من القتال ، لأنه يشمل " بذل ما في الوسع من القول والفعل ، واحتمال المشقة بوجه تام وبمختلف السبل - أن هذا الجهاد ، والقتال منه خاصة - على عكس ما يدعي البعض - ليس ركنا من أركان الدين ، بل وليس من جوهر الدين ومقاصده ... فالقتال ليس سبيلا من سبل الدعوة إلى الدين ، وهو لم ولن يكون أداة من أدوات تحصيل اليقين والتصديق القلبي ، الذي هو الإيمان ، وإنما هو أداة دفاعية يستخدمها المسلمون لحماية حرية الدعوة وحرية الاعتقاد إذا اعتدى عليها المعتدون " .. فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار ، **أي أنه ليس من جوهره ومقاصده ، وإنما هو سياج له ، فهو أمر سياسي لازم له للضرورة** ، ولا التفات لما يهذي به العوام ، ومعلموهم الطفام ، إذ يزعمون أن الدين قام بالسيف وأن الجهاد مطلوب لذاته ، والقرآن - في جملته وتفصيله - حجة عليهم "[1] .

---

(١) المصدر السابق . جـ ٤ ص ٧٣٢ ، ٧٣٣ .

ونحن نستطيع أن نطمئن كل الاطمئان إلى صياغة الإمام " محمد عبده " لهذه القضية ... قضية : أن الجهاد ، ومنه القتال ، ليس ديناً ، ولا هو من جوهر الدين ومقاصده ، وإنما هو أمر سياسي ، علاقته بالدين لا تتعدى علاقة السياج الذي يحمي حرية الدعوة والدعاة وحرية الاعتقاد .. نستطيع أن نطمئن لهذه الصياغة ، بل وأن نزداد اطمئناناً إذا نحن بحثنا عن **أركان الاسلام** فوجدناها خمسة : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ... فهي أركان خمسة ، وليس فيها الجهاد ولا القتال ..

وكذلك الحـــال إذا نحن بحثنا عن **أركان الإيمان** .. فهي ستة : الإيمان بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر ... فهي أركان ستة ، وليس فيها الجهاد ولا القتال ..

وكذلك الحال إذا نحن بحثنا عن أركان الاحسان ... وتلخصها عبارة : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ! .. وليس فيها ، أيضاً ، الجهاد ولا القتال[1] .

وكذلك إذا نحن بحثنا عن أصـــول الإيمان .. فإنها ثلاثة : الألوهية ، والنبوة ، واليوم الآخر .. وليس فيها الجهاد ولا القتال[2] .

هكذا حدد الاسلام القضية .. فالايمان تصديق ويقين قلبي ، لا سلطان لبشر

(١) ابن تيمية (منهاج السنة) جـ١ ص ٧٠ ـ ٧٢ طبعة القاهرة ١٩٦٢ م .
(٢) الغزالي (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) ص١٥ طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .

عليه .. ومن ثم فإن السبيل إليه هو الاقناع والاقتناع المتمثلان في الدعوة بالحكمة والموعظة والجدل .. ولا إكراه في الدين ، ومن ثم فليس هناك قتال ديني ولا حرب دينية ، اللهم إلا من حيث كونهما أداة سياسية يقف استخدامها عند حماية الدعوة وحرية العقيدة من عدوان المعتدين ..



قتال الرسول

ولقد كان قتال الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، والغزوات التي غزاها والحروب التي وجه إليها صحابته ، كانت كلها تطبيقاً لذلك القانون الإلهي ، والبديهي ، والعقلاني : **لا إيمان عن طريق الإكراه ، والقتال سياسة ، وليس دينا ، ولا مكان له إلا إذا اعتدى المعتدون على حرية الدعوة وأمن المؤمنين ووطن المسلمين ..**

لقد مكث الرسول بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو أهلها إلى التوحيد فلم يجبه إلا نفر قليل ... ولو تخيلنا أن أهل مكة وملأ قريش قد تركوه وشأنه وخلوا بينه وبين دعوته وكفوا أذاهم عنه ، حتى مع بنائهم على شركهم ، لما كان هناك قتال من الرسول ، ولما فرض الله على المسلمين القتال ، لأن حرية الدعوة مكفولة وأمن المؤمنين مصان ... والقرآن الكريم ، عندما يعرض لقضية الحرب والقتال يؤكد هذه المقولة التي سقناها في هذا الافتراض .

ففي البداية .. وبعد ما تعرض له المسلمون من أذى وفتنةٍ في دينهم

واضطهاد اقتلعهم من وطنهم وجعلهم يهاجرون إلى " يثرب " - (المدينة) - بعد أن هاجر منهم كثيرون إلى " الحبشة " ... في البداية ، وبعد أن هاجر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، " **أذن " الله - مجرد اذن - للمؤمنين في القتال** .. وهو لم يأذن لهم في القتال كي يكون وسيلة لفرض العقيدة والإيمان ، لأن ذلك مستحيل ، وإنما أذن لهم في ذلك سياسة يردون بها على الظلم الذي لحقهم ، والذي تمثل في التضييق الشديد على دعوتهم والفتنة للمستضعفين منهم عن دينهم - والفتنة أشد من القتل - **وأيضاً - وذلك هام ومهم - كحرب وطنية ضد أولئك الذين اقتلعوهم من ترابهم وأجبروهم على الهجرة من موطنهم الأصلي : مكة المكرمة ... ونحن نلحظ تركيز القرآن على هذا الجانب الوطني من جوانب الصراع المسلح الذي قام بين المسلمين والمشركين - يذكره دائماً كسبب هام من أسباب شرعية القتال ، ويذكر به المسلمين كي يثير حماسهم للقتال ، بل ويستفزهم به ويستنفرهم لملاقاة الأعداء الذين أخرجوهم من الديار وسلبوا منهم حقهم الطبيعي والمقدس في العيش بالوطن الذي ولدوا وشبوا فيه ! ..**

فعندما أذن الله للمؤمنين في القتال كان إخراجهم من ديارهم - وهو قضيتهم الوطنية ، بتعبيرنا الحديث - سببا علل القرآن به هذا التطور الجديد المتمثل في الإذْن بالقتال ... قال سبحانه : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذي أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله . ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوي عزيز)[1] ..

وعندما تطور الأمر من " **الإذن** " في القتال إلى " **الأمر** " به جاء حديث القرآن الكريم أيضاً يضع قضية المهاجرين الوطنية - إخراجهم من ديارهم - سبباً لأمر الله أياهم بقتال أولئك الذين أخرجوهم من الديار .. فقال : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين . واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين ، فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم[2] .

وعندما انتقل القرآن الكريم ، في تشريعه للقتال ، من " **أمر** " **المؤمنين به إلى حيث جعله** " **فرضا واجبا** " **عليهم** - في السنة الثانية من الهجرة - استمر حديثه عن قضيتهم السياسية الوطنية - إخراجهم من ديارهم - كسبب يوجب عليهم ويفرض قتال الاعداء .. وفي ذلك قال الله سبحانه : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون . يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ؟ قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام **وإخراج أهله منه أكبر عند الله** والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم

---

(١) الحج : ٣٩ ، ٤٠ . وانظر القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) جـ ١٢ ص ٦٨ طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) البقرة : ١٩٠ ـ ١٩٢ . وانظر (الجامع لأحكام القرآن) جـ ٢ ص ٣٤٧ .

حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن سيرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون[١] .

ثم استمر ذلك مذهبا للقرآن الكريم .. كلما حدث المسلمين عن القتال ودعاهم إليه واستغرهم إلى خوض غماره كان حديثه إليهم عن إخراجهم من ديارهم كسبب للقتال وداعية تدعوهم إلى معاناة شاقة وتقديم قربانه ودفع ضريبته ... وفي الوقت الذي التزم فيه ذلك لم يحدثهم مرة واحدة عن أن القتال طريق لنشر الدين يفرض الإيمان ، ولا على أنه عقاب للمشركين على عدم الدخول في الدين الجديد ! ..

فهــو يحدث الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، عن تآمر قريش لاقتلاعه من وطنه مكة : (وإذ يعسكر بك الذين كفــروا ليثبتوك ـ (أي يحبسوك .. أو يتخـــذوك بالجراح !) ـ أو يقتلوك أو يخرجوك ، (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)[٢] .. وفي موطن آخر يتحدث إليه قائلا : (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض **ليخرجوك** منها ! وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا)[٣] كما يحدثه عن جريمة ملأ قريش المتمثلة في اقتلاعه من وطنه فيقول : (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي **أخرجتك** أهلكناهم فلا ناصر لهم[٤]) .

---

(١) البقرة : ٢١٦ ، ٢١٧ . وانظر (الأعمال الكاملة للامام محمد عبده) جـ ٤ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦
(٢) الانفال : ٣٠ وانظر (الجامع لأحكام القرآن) جـ ٢ ص ٣٩٧ .
(٣) الاسراء : ٧٦ .
(٤) محمد : ١٣ .

كما يتحدث إلى المؤمنين حاثا إياهم على قتال المشركين ، ومستثيرا لهم بأن هؤلاء المشركين قد أخرجوهم وأخرجوا نبيهم من ديارهم ، فلا بد ، لهذا السبب ، من التصدي لهم بالقتال .. يقول سبحانه للمؤمنين : (ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم وهموا **بإخراج الرسول** وهم بدؤوكم أول مرة ، أتخشونهم؟! فالله أحق أن تخشوه إنْ كنتم مؤمنين ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين[1]) ... وفي مقام آخر يعاتبهم ، ويستغرهم ، فيذكرهم بذات القضية .. يقول : (يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض؟! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة؟! فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير . إلاّ تنصروه فقد نصره الله إذ **أخرجه** الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنْ الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم . انفروا خفافاً وثقـالا وجـاهدوا بأمـوالكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)[2] ... فإذا كان المقام مقام الحديث عن المكانة التي أعدها الله للمؤمنين الذين استجابوا لدعوته كان مقام الذين قاتلوا انتقاما من الذين أخـرجوهم من ديارهم واقتلعوهم من وطنهم ، كان مقامهم عاليا وملحوظاً : (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا **وأخرجوا من**

---

(١) التوبـة : ١٣ ، ١٤ .

(٢) التوبـة : ٣٨ ـ ٤١ .

ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله ، والله عنده حسن الثواب)[1]

... وإذا كان المقام مقام اختصاص بالغي ، والمال ، فإن الفقراء الذين تسبب اقتلاعهم من وطنهم في فقرهم ، بعد أن لم يكونوا كذلك ، هم الأولى بالاختصاص .. (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ، ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل ، كي لا يكـــون دوله بين الأغنياء منكم ، وما أتاكم الرســـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب ، للفقراء المهاجرين الذين **أخرجوا من ديارهم وأموالهم** يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون[2] .

هكذا يذكر القرآن ـ عندما يتحدث عن القتال ـ إخراج المشركين للمؤمنين من ديارهم سبباً يجب من أجله القتال ، وقضية يستنفر المؤمنين كي يقاتلوا لحلها ، حتى يستردوا وطنهم الذي اقتلعوا منه من تحت سلطان المشركين .. **ومن هنا فإننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن فتح المسلمين لمكة ، في السنة الثامنة من الهجرة ، كانت حرب تحرير سياسية ، بالمعنى الدقيق لهذا التعبير .. فالمسلمون لم يفرضوا الإيمان بالاسلام على أهل مكة عندما جاء نصر الله والفتح ، وإنّما هم تركوا ضمائرهم وقلوبهم كي يسلك الإيمان إليها دربه الطبيعي : الاقناع والاقتناع ، وعبر الرسول عن ذلك الموقف السامي عندما**

---

(١) آل عمران : ١٩٥ .

(٢) الحشر : ٧ ، ٨ .

قال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! .. بل لقد تألف قلوبهم بالعطاء الكثير ! .. ولم يؤدب أولئك الذين كانوا يبكون ويولولون عندما تهاوت الأصنام التي كانوا يعبدون .. فالذي صنعه وفرضه الفاتحون ليس هو الإيمان ، وإنما تحرير الوطن الذي سلبه المشركون من المؤمنين قبل ثمانية أعوام ! .. وهو الوطن الذي يشهد لحبه والتعلّق به كلمات الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، يوم هجـرته ، عندما أخذت خطواته تباعد بينه وبين تراب مكة ، فلقد التفت إليها ، مودعاً ، وقال يخاطبها : " .. اللهم أنت أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إليّ ، ولولا المشركون من أهلك أخرجوني لما خرجت منك ! " .. وعند ذلك جاءه الوحي . يقول الله سبحانه : (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) [١] ... لقد قاتل المشركين ست سنوات ، لأنهم أخرجوه وأصحابه من أرضهم ، واعتدوا على حقهم في الدعوة ، بحرية ، إلى دينهم الجديد .. وفي العام الثامن من هجرته استرد الوطن الذي أخرج منه ... فكان ذلك دليلا آخر على أن القتال في الاسلام هو سياسة ينهض العامل الوطني بالدور الأكبر في مشروعيته ... وليس سبيلا لفرض الدين والإيمان ...

---

(١) محمد : ١٣ .

قتال الصحابة

ولم يكن الطابع السياسي للقتال الذي حدث في عصر الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بأقل مما كان عليه في عصر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بل لعله كان أشد وضوحاً وأبرز للعيان ...

وفي عهد الصحابة حدثت أنواع من الحروب ، تمثلت في العديد من المعارك القتالية التي غطت ، تقريبا ، كل عصر صدر الاسلام .. وأنواع الحروب هذه يمكن تصنيفها إلى :

١ ـ حرب ضد القبائل العربية التي " ارتدت " عن الاسلام قبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .

٢ ـ وحروب ضد القبائل العربية التي " ارتدت " عن وحدة الدولة الاسلامية عقب وفاة الرسول وعند تولي أبي بكر الخلافة .

٣ - وحروب الفتوحات التي وصلت بحدود الدولة إلى فارس والشام وافريقية .

٤ - وحروب " علي بن أبي طالب " ضد خصوم حكمه .. من " طلحة بن عبيد الله " و " الزبير بن العوام " ، إلى " معاوية بن أبي سفيان " وأهل الشام ، إلى الخوارج .. ثم حروب الخوارج ضد الأمويين ، والتي امتدت فاتسعت لتشمل غيرهم من تيارات الفكر والسياسة في الاسلام ..

فما هي طبيعة تلك الحروب ؟ .. وما مكان السياسة في ذلك القتال ؟ . وأين كان " الدين " ؟ .. بمعنى : هل كانت هذه الحروب ، أو بعضها ، حروباً دينية ، استهدف منها أصحابها فرض العقيدة الدينية على الخصوم ؟ ..

لننظر .. حتى نعرف الجواب ..

١ - حروب الردة في حياة الرسول :

قبيل وفاة الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وعند وفاته " ارتدت " عدة قبائل عربية عن الاسلام ، فأعلنت رفض سلطة الدولة الاسلامية التي توحدت تحت حكم الرسول بعد فتوحات شبه الجزيرة ، وأعلنت الاستقلال عن دولة المدينة .. وكان هذا جانبا سياسيا ، وليس دينيا ، واضحاً في حركة " **الردة** " هذه .. لقد كانت " **ردة** " ضد دولة يحكمها " **نبي** " ، فزعم قادة هذه "**الردة**" أنهم هم الآخـرون " **أنبياء** " ! .. فعـرف التـاريخ ذلك العدد من " **المتنبئين** " :

الأسود العنسي (عهلة) بن كعب بن عوف العنسي .. وهو الملقب بذي الخمار .. كان كاهنا ، وهـو أول المرتدين ، بدأ عصيانه من كهف خبسان ، باليمن ، ومعه عنس ، وهم بطن من قبيلة مذ حج ، فاستولى على المنطقة الممتدة من صنعاء إلى عمان إلى الطائف .. وكانت ردته سنة ١١هـ ، قبل وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام .. ولقد حاربه المسلمون ، وقتلوه غيلة ، فانهزم أنصاره قبل وفاة الرسول بليلة واحدة ، فلم تدم ردته وعصيانه أكثر من ثلاثة أشهر ! ..

وطليحة بن خويلد الأسدي .. من أسد خزيمة .. بدأت ردته وادعاؤه النبوة في حياة الرسول ، فقاتله المسلمون حتى ضعفت شوكته ، ثم عادت فقويت عقب وفاة الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. وكان أكثر اتباعه من قبائل : أسد ، وغطفان ، وطيء ، ثم عبس وذبيان .. وبعـد هزيمته النهائية فر إلى الشام ، ثم عاد إلى دين الاسلام! .

ومسيلمة بن حبيب (الكذاب) .. وكان كاهناً في قبيلة كبيرة تتدين بالنصرانية هي " بنو حنيفة " ، تقطن اليمامة ، بين نجد والأحقاف ، في موطن أقرب إلى نجد من الأحقاف .. ولقد بدأت ردته قبل وفاة الرسول ، واستمرت بعدها حتى قضى عليها المسلمون ..

وسجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان .. من بني تغلب .. وكانت عالمة راسخة في الديانة المسيحية التي كانت تتدين بها قبيلتها .. ولقد زحفت على أرض بني تميم فتبعها منهم البعض ، ثم سارت إلى " مسيلمة " فحالفته ،

وقيل تزوجته .. وبعد هزيمتهم انسحبت ـ قيل إلى البصرة حيث أسلمت على عهد " معاوية " ، وقيل إلى الجزيرة حيث ماتت منسية عند أخوالها ! ..

أولئك هم أبرز " **المتنبئين** " الذين شقوا عصا الطاعة لسلطة دولة المدينة وتمردوا على الوحدة التي أقامتها في شبه الجزيرة أول دولة عربية أقامها المسلمون .

وفي الحديث عن طبيعة هذه " **الردة** " وحربها وقتالها .. أدينية كانت ضد " **دين**" الاسلام ؟ أم سياسية كانت ضد " دولة " الاسلام ؟ لا بد من أن نلحظ ونعي عدداً من الحقائق أهمها :

(أ) أن عقيدة التوحيد ، في صورته التي بلغت الذروة نقاء ، كما بشر بها الاسلام ، لم يذكر التاريخ أن أحداً من هؤلاء " المتنبئين " قد نالها بالنقص أو الانكار أو التحريف .

(ب) أن " نبوة " محمد ، عليه الصلاة والسلام ، لم يجحدها أحد من هؤلاء " المتنبئين " .. وكل الذي ذكرته مصادر تاريخنا عن هؤلاء " المتنبئين " في هذا الباب أنهم أنكروا أن يكون محمد هو النبي الوحيد .. لقد أرادوه نبيا لقريش ، وأراد كل منهم نفسه نبيا لقبيلته ومن غلبت عليه من صغار القبائل وضعاف الافخاذ والبطون ! .

(جـ) أن قضية " الوحي " والاعتقاد بوجوده رباطا يصل الإله الواحد بالنبي ، لم تكن موضع إنكار من هؤلاء " المتنبئين " .. فلقد زعم كل منهم أنه يُوحى

إليه ، وألقى إلى أتباعه بشيء من السجع الذي زعموا أنه ثمرة الوحي ، وهو سجع بقي القليل منه وتناثر في كتب التاريخ .. فهم لم ينكروا " الوحي " ، وإنما انكروا تفرد " محمد " ، عليه الصلاة والسلام ، باستقباله ..

إذن .. فنحن هنا أمام تمردات قبلية ، تشق الوحدة التي أقامتها الدولة الاسلامية الوليدة ، التي يحكمها نبي من قريش .. فهي انشقاقات ضد الوحدة .. ولأن دولة الوحدة يقودها نبي ، فلقد زعم قادة الانشقاقات أنهم هم الآخرون أنبياء ! .. وكان لا بد من تحريفات يحدثها هؤلاء المتنبئون في الدين الذي وحد العرب ، طلبا للتمايز الذي يتطلبه التمرد والارتداد والانشقاق ! .. أي أننا نلمح الطابع السياسي ، غير خفي ، خلف تلك الغلالة الشفافة ، بل المتهرئة ، التي زعموها " نبوة " لهؤلاء المرتدين ! .

ولنا أن نسأل : هل كان باستطاعة واحد من هؤلاء " **المتنبئين** " أن يقنع عاقلا من قومه ، أو من غير قومه ، بأن سجعه السقيم يطاول القرآن الكريم ؟!.. وهل كان في وسع عقلاء العرب أن يضعوا إنسانا أو فكرا في كفة ميزان ثم يزعمون أنها يمكن أن توازي الكفة التي نهض عليها " محمد بن عبد الله " ودين الاسلام ؟! .. لا نعتقد أن ذلك كان ممكنا ، خاصة وأن " محمدا " كان لا يزال حيا ، يشع سلوكه على ما حول المدينة ، وتنهض معجزته القرآن بسحر اعجازها ، وهي لأولئك العرب البلغاء أكثر سحرا وأفعل اعجازا منها لغير البلغاء من أمثال الذين أتوا بعدهم من الأجيال ! ..

إذن .. لماذا كان انتشار " **الردة** " هكذا سريعا وشبه شامل ؟! .. في

اعتقادنا أنه يصعب تصورها ردة عن " **الدين** " ، لأن عظمته وعطاء ، يتضاءل دونها كل بديل .. لكن الأثرة السياسية ، والعصبية القبلية ، قد دعت القبائل الكبرى إلى أن تتصدى " **لدولة** " الاسلام ، التي حسبوها " **دولة قريش** " ، فأرادوا اقتسام " **الميـــــزة السياسية** " ، فلما وجـــدوها قد ارتبطت بظهور " **النبوة** " في قريش ، أرادوا اقتسام " **ميزة النبوة** " أيضا : فكان " **التنبؤ** " الذي زعموه لأنفسهم الستار الذي غلفوا به الطمع في الدنيا ، والرغبة في تفكك الدولة ، والطموح إلى العودة ، في السياسة ، إلى ما قبل الوحــــدة السياسية التي صنعها الرسول والمسلمون لعرب شبه الجزيرة .. فهي إذن " ردة " سياسية ، حاولت تبرير نفسها وستر عوراتها برداء متهرىء من " **التنبؤ** " والدين ! .. ومن ثم فإن الطابع السياسي والطبيعة السياسية لما دار في حروبها من قتال ، أمر لا تخطئه عين باحث يحترم العقل عندما ينظر ويبحث عن طبيعة القتال في هذه الحروب .

ولعل مما يزيد أمر الطابع السياسي لقتال هذه الحروب وضوحا ـ إن كانت لا تزال بحاجة إلى مزيد من الوضوح ـ أن نتأمل في عدد من النصوص والمأثورات التي حفظها لنا التاريخ من أحداث تلك الحروب وأقوال أقطابها ..

فالأسود العنسي (عهلة) عندما أعلن عصيانه وأظهر دعوته باليمن كتب إلى قادة المسلمين وعمالهم كتابا .. **وهــــو في هذا الكتاب لم يدعهم إلى ترك " الدين " الاسلامي والدخول في دين جديد ، كما تكون عادة الأنبياء الجدد ، وإنما طلب منهم أن يظلوا على دينهم وعقيدتهم ، فقط طلب منهم أن يتركـــــوا لأهـــــل اليمن أرضهم وأموالهم ! . لقد قال لهم في كتابه :**

" أيها المتوردون علينا ، أمسكـوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به . وأنتم على ما أنتم عليه ؟! " .. فهو ، إذن ، يطلب إلى القرشيين ، أو ممثلي الدولة التي يحكمها النبي القرشي ، يطلب إلى هؤلاء الذين وردوا إلى اليمن من خـــارجها ، أن يدعـــــوا أرض اليمن ومالها لأهلها ، فهم أولى به .. إنه يطلب هـــــــدم وحدة الدولة ، ويرتد عن " التـــــوحيد السياسي " ، الذي كان وجها لعملة واحــــــدة يمثـل " التـوحيد الديني " وجهها الآخر .. فهي " ردة " في السياسة ، وليست " ردّة " في الدين ! ..

و " متنبىء " ، بن حنيفة : " مسيلمة الكذاب " ، يعلن صراحة في سجعه الذي ألقى به إلى قومه أنه **يبشر بفكر سياسي يبغي من ورائه اقتسام الأرض والدولة بين بني حنيفة وبين قريش !..** فهو يريد أن لا تستأثر قريش بالأرض والدولة .. فلما لم تستجب أعلن العصيان وارتد عن " الوحدة الادارية والتوحيد السياسي " .. يقول ، مخاطبا الضفادع : **" يا ضفدع نقي نقي ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكـدرين ، لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون " ! ..**

وعندما عقد حلفه مع " المتنبئة " " سجاح بنت الحارث " ، عرض عليها أن يكون لقومها نصيب قريش من الأرض والدولة ، فقال لها : **" لنا نصف الأرض ، وكان لقريش نصفها لــــــو عدلت ! وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش ، فحباك به ، وكان لها لو قبلت ! " .**

ولما ذهب " خالد بن الوليد " لقتال " مسيلمة " و " بني حنيفة " سألهم : " يا بني حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : **منا نبي ومنكم نبي !** " .. **فقسمة النبـوة هنـــا هي التعبير عن قسمة الأرض التي أعلنوا عنها في سجع الكذاب ! ..**

وقول " بني حنيفة " هذا " لخالد بن الوليد " يدلّ على أن هذه القضية لم يكن وضوحها وقفا على فكر " مسيلمة ، وخاصته ، بل كان وضوحها متعديا لنطاق الخاصة والقواد .. بل لقد رأيناها من الوضوح عند البعض إلى الحد الذي جعل وضوحها يفضح فكرة " **نبوة** " هؤلاء " **المتنبئين** " حتى عند الأنصار والأعوان والأتباع ! .. فهذا " طلحة النمري " يذهب للقاء " مسيلمة " في اليمامة فيسأل عنه نفرا من بني حنيفة :

ـ أين مسيلمة ؟

ـ مه ـ (اصمت) ـ : رسول الله ! ..

ـ لا .. حتى أراه !

فلما أن لقي طلحة النمري مسيلمة دار بينهما هذا الحوار :

ـ أنت مسيلمة ؟ ..

ـ نعم ..

ـ من يأتيك ؟

- رحمن ..

- أفي نور ؟ أو في ظلمة ؟

- في ظلمة ..

- أشهد أنك كذاب ، وأن " محمدا " صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب الينا من صادق مضر ! "

فهي إذن السياسة ، وهي إذن الطموحات في اقتسام الأرض والمال والدولة .. وما غلالة " **النبوة والتنبؤ** " إلا الستار الذي حاول البعض به ستر الحقيقة عن العوام .. و " طلحة النمري " يفضح المقاصد عندما يعلن صدق نبوة " محمد " ، وكذب تنبؤ " مسيلمة " ، ولكن العصبية القبلية والأهداف السياسية تجعله يقف مع كذاب " ربيعة " لا مع صادق " مضر " ، لأن دنياه مع هذا الكتاب ، وهو قد قطع صلتها بالدين ! .

هكذا تشهد المأثورات لما شهد به التحليل العقلي من وضوح الطابع السياسي للقتال الذي شهدته الحروب التي شبت بين الصحابة وبين هؤلاء " المتنبئين "![1]

ويشهد لهذه الحقيقة أيضا أن حركات " **الردة** " التي قامت بعد وفاة

---

(١) انظر أخبار حروب الردة هذه في (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، (نهاية الأرب) للنويري جـ ١٨ ص ٧٢ ، ٧٣ و جـ ١٩ ص ٤٩ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٦ - ٧٨ ، ٨٠

الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، قد غابت منها ظاهرة " **التنبُّؤ** " ، فازداد وضوح طابعها السياسي ، وتعرت أهدافها تماما من تلك الغلالة " **الدينية** " ، لأن غياب صفة "**النبوة**" عن الخليفة الذي تولى رئاسة الدولة بالمدينة أسقط ضرورة ادعـــاء " **النبوة** " لمن يشق عصـــا وحـــدة هذه الدولة .. لقد كان " **التنبؤ** " سلاحا تسلح به المرتدون على وحدة الدولة ، لأن قائد هذه الدولة المتحدة كان نبيا ، إلى جانب كونه حاكما ، فأما وقد انتقل النبي إلى ربه ، وتولى الحكم خليفة ، غير نبي ، فلم تعد هناك ضرورة لادعاء المرتدين على وحدة الدولة للنبوة .. ومن ثم فلقد وضحت طبيعة الصراع ، وغدت القسمة السياسية للقتال واضحة للعيان كل الوضوح .

٢ ـ حروب الردة بعد الرسول :

تجلت عبقرية الصحابة في السياسة ، عند وفاة الرسول ، أول ما تجلت في سرعة اختيارهم " لأبي بكر " خليفة للرسول وحاكما أعلى للدولة العربية الاسلامية ، فلقد حسموا خلاف الأنصار للمهاجرين حول هذا المنصب في سقيفة " بني ساعدة " ، وتمت البيعة " لأبي بكر " قبل أن يدفن جثمان الرسول ، عليه الصلاة والسلام .. ولقد وضحت ميزات ذلك الحسم السريع عندما أسرعت الأنباء ترد إلى المدينة بأن قبائل العرب قد انتشرت فيها " الردة " انتشار النار في الهشيم ! .. ولقد تبع ورود هذه الأنباء حضور وفود من هذه القبائل إلى المدينة تعلن لقيادة الدولة هذا الموقف الجديد ! .. جاؤوا يفاوضون ، **فإذا هم يعلنون بقاءهم على اسلامهم ، ولكن مع " الارتداد " عن الوحدة السياسية والاقتصادية للدولة .. فهم باقون على عبادة الله وحده ، وعلى**

الايمان بنبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، يقيمون الصلاة ، ويصومون ويحجون ، أما الزكاة فإنهم سيصرفونها في قومهم ، أي محليا ، ولن يدفعوا منها شيئا إلى الخليفة ، لأنهم لا يعترفون له بما كانوا يعترفون به للرسول من السلطة والسلطان .. حدث ذلك من عرب شبه الجزيرة ، أو قل : من أعرابها ، ولم يبق خاضعا لدولة الخلافة إلا الحواضر : المدينة ومكة والطائف ، أي لم يبق مع العاصمة إلا قبيلتا " قريش " و " ثقيف " ! . وبعبارة " النويري " فإنه " لما قبض الرسول ، ارتدت العرب كلها إلا قريشا وثقيفا ، وأتت وفود العرب إلى " أبي بكر " مرتدين يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة " ! [1] ..

ولكن الخليفة رفض أن يجيب وفود هذه القبائل إلى ما يطلبون ، واستمسك بالوحدة السياسية للدولة ، باعتبارها الوجه الثاني لعملة واحدة يحمل وجهها الآخر عقيدة التوحيد في الدين ، بل لعله رأى أن الحفاظ على الوحدة السياسية أدخل في اختصاصه ، وألزم لمهمته ، فهو خليفة وحاكم سياسي للدولة . وليس بنبي أو رسول ! .. ومن ثم فلقد صمم على قتال هؤلاء الذين " ارتدوا " عن الوحدة السياسية ، على الرغم من اعتراض " عمر بن الخطاب " الذي استعظم محاربة قوم لم يخلعوا التوحيد في الدين .. لقد نفذت بصيرة أبي بكر وتجلت عبقريته في قراره التاريخي الذي أوجزه في قولته الشهيرة : **"والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم عليها ! "** .. فهو لن يحاربهم حربا دينية ، لأنهم على التوحيد والاسلام ، يصومون ويصلون ويحجون بل ويزكون ، ولكنهم يصرفون زكاتهم في مضارب قبائلهم ، ويمتنعون عن دفعها

---

(١) نهاية الأرب . جـ ١٩ ص ٦١ .

إلى عاصمة الخلافة وبيت مال الدولة .. وإنما سيحاربهم حربا سياسية ، تعيد للدولة وحدتها وتضمن لها النمو والتدعيم ، ولقد كان تسليم الزكاة لبيت المال بالمدينة هو المعيار والرمز لبقاء وحدة الدولة ، التي رآها " أبو بكر " بعبقرية أبصرت المستقبل كله لحظة اتخاذه لهذا القرار ، رآها الضمان لمجد العرب وتحضرهم ، بل والضمان لبقاء عقيدة التوحيد وانتشارها ، أي لبقاء الاسلام كدين ، وحتى لا يذهب كما ذهبت مذاهب ودعوات عفا عليها الزمن لأنها لم تجد الدولة التي تضمن لها الانتشار فالبقاء! ...

حسن " أبو بكر " المدينة حتى لا تقتحمها القبائل ، بعد أن رفض الاستجابة لطلب وفودها .. ثم خرج إلى حيث عسكر بالمسلمين ، الذين تأهبوا لحرب يعيدون بها الوحدة للدولة ، في " ذي القصة " .. وهناك عقد لأمراء الحرب ألوية القتال ، ووجههم إلى ميادينه .. عقد لهم أحد عشر لواء :

١ - " خالد بن الوليد " .. لقتال " طليحة الأسدي " .. ثم لقتال " مالك بن نويرة " " بالبطاح " إن استمر على عصيانه ..

٢ - و " عكرمة بن أبي جهل " .. لقتال " مسيلمة " باليمامة ..

٣ - و " المهاجرين أمية " .. لقتال جنـــود " الأسود العنسي " ، ومعونة الأبناء على " قيس بن المكشوح " ومن معه من أهل اليمن .. ثم لقتال كنده بحضرموت ..

٤ - و " خالد بن سعيد بن العاص " - لقتال أهل الحمقتين من مشارف الشام ..

٥ - و " عمرو بن العاص " .. لقتال جماع قضاعة ووديعة والحارث ..

٦ - و " حذيفة بن محصن الخلفاني " .. لقتال أهل دبا ..

٧ - و " ابن هرثمة " .. لقتال " مهرة " .

٨ - و " شرحبيل بـــن حسنة " .. لقتال قضاعة بعد اعانة عكرمة في قتال أهل اليمامة .

٩ - و " معن بن حاجز " - وقيل : " طريفة بن حاجز " - لقتال " سليم " ومن معهم من هوازن .

١٠ - و " سويد بن مقرن " .. لقتال تهامة باليمن ..

١١ - و " العلاء بن الحضرمي " .. لقتال البحرين [١] ..

ولقد كانت وصية " أبي بكر " للجند المحاربين وعهده لأمراء هذه الحروب دليلا آخر على طابعها السياسي ، فهم ذاهبون لقتال قبائل مسلمة، قد ارتدت عن الوحدة السياسية للدولة ، ولم ترتد عن التوحيد الالهي في الدين .. ومن ثم فلابد من التمييز بين الذين ظلوا على اسلامهم وبين الذين خلعوا الدين مع خلعهم وحدة الدولة السياسية .. إذ محال أن نجعل المسلمين كالمشركين ! .. قال الخليفة لجيوشه : " **إذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم فيها أذانا للصلاة فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقموا ؟ ! وإن لم تسمعوا أذانا فشنوا الغارة !** [٢] ... "

---

(١) المصدر السابق . جـ ١٩ ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٢) تاريخ الطبري . جـ ٣ ص ٢٧٩ .

كما تشهد حرب " خالد بن الوليد " " لمالك بن نويرة " ، وقتله له ، للطابع السياسي لهذه الحـرب ، وتؤكد أنها كانت " ردة " عن الوحدة السياسية للدولة ، ولم تكن ، بحال من الأحوال " ردة " عن " دين " الاسلام ..

" فمالك " قد فض حلفه مع " سجاح بنت الحارث " - التي انصرفت إلى أرض الجهرة - وهو حلف استهدف من ورائه تحقيق أغراض قبلية ، منها ثأر كان يطلبه من بني ضبة " .. ولم يكن حلفا تنتقص طبيعته من إيمانه بالاسلام .

وهو قد جمع الزكاة ، ولكنه رفض تسليمها لبيت المال بالمدينة ، وأرجأ التصرف فيها ، ثم أصبح متحيرا من أمره فيها ، وخاصة بعد فض حلفه مع " سجاح [1] .. ولـه في ذلك شعر يفصح عن اسلامه ، وعن التزامه التعبد بالزكاة ، كركن من أركان الاسلام ، لكن مع التردد والتحير في مصرفها .. هل يكون في قومه ؟ أم إلى بيت مال الدولة في المدينة ؟ .. يقول :

وقال رجال : سدد اليوم مالك
وقال رجال : مالك لم يسدد
فقلت : دعوني لا أبا لأبيكم
فلم أخط رأيا في المقام ولا الندي
وقلت : خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء به غدي
فدونكموها ، إنما هي مالكم
مـصـورة أخـلاقـهـا لم تجـدد

(١) المصدر السابق . جـ ٣ ص ٢٧٦ .

سأجعل نفسي دون ما تحذرونه
وأرهنكم يوما بما قلته يدي

فإن قام بالأمر المجدد قائم
أطعنا ، وقلنا : الدين دين محمد[١]

وعندما هم " خالد بن الوليد " بقتال " مالك بن نويرة " وقومه " ترددت الأنصار على خالد ، وتخلفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ؟!.. [٢]

ولقد شهد باسلام القوم ، وبظلم " خالد " لهم إذ قاتلهم وقتل منهم ، كثير من شهود تلك الحرب .. ومن هؤلاء الشهود " أبو قتادة الحارث بن ربعي " ، أخو بني سلمة ... قال : إنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ! .. (أي أفزعوهم ليلا) - فأخذ القوم السلاح .. قال أبو قتادة : فقلنا : إنّا المسلمون! فقالوا : **ونحن المسلمون** ! قلنا : فما بال السلاح معكم؟! قال : وما بال السلاح معكم؟! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ، **ثم صلينا وصلوا؟!** .. " .

ومع ذلك حاربهم " خالد بن الوليد "! .. ونرى " عمر بن الخطاب " يتحدث إلى " أبي بكر " في هذا الأمر ، طالبا القصاص " لمالك بن نويرة " من " خالد بن الوليد " ، وقائلا عبارته الشهيرة : " **عدو الله ! عدا على امرىء مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته؟!**[٣]

---

(١) ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة) جـ ١٧ ص ٢٠٥ . طبعة الحلبي ، القاهرة .
(٢) تاريخ الطبري . جـ ٣ ص ٢٧٦ .
(٣) المصدر السابق . جـ ٣ ص ٢٨٠ .

وأيضا .. يشهد للطابع السياسي لهذه الحرب ، حرب القبائل التي خلعت وحدة الدولة ولم تخلع توحيد الاسلام ، شعر " الخطيل بن أوس " ـ أخي الحطيئة ـ الذي يصور معنى منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة أبي بكر في المدينة ، وفحوى مطالب وفودها التي وفدت على المدينة ، تقرب الاسلام وتطلب فك ارتباطها بوحدة الدولة السياسية ، وكيف أن ذلك كان يعني رفض هذه القبائل لسلطة خليفة قرشي لم يستشاروا في اختياره . دون أن يعني رفض الاسلام ، كدين ، لأنهم قد دانوا به بالحرية والاختيار .. يقول الخطيل :

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا
فيالعباد الله ما لأبي بكر؟!

أيورثها بكرا إذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهلا رددتم وفدنا بإجابة
وعلا حسبتم منه راعية البكر

فإن الذي سألوكم فمنعتم
لكالتمر أو أحلى لحلف بني فهر[1]

ولقد كان وراء منع هذه القبائل تسليم الزكاة لحكومة " أبي بكر " تخريجا استخرجوه لأنفسهم وتأويلا تأولوا به قول الله سبحانه : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم أن صلاتك سكن لهم[2] ..)

---

(١) شرح نهج البلاغة . جـ ١٧ ص ٢١٠ .
(٢) التوبة : ١٠٣ .

فقالوا : إنهم كانـــوا يدفعـــون الـــزكاة (الصدقة) - إلى من كانت صلاته (سكن لهم) - وهو الرسول - وليس كذلك حال " أبي بكر " ولا حال غيره ، فليس عليهم أن يدفعوا صدقاتهم إلى من لا يستطيع أن تكون صلاته لهم سكنا! .. ذلك كان تأويلهم .. وهـــو شاهـــد آخـــر على إيمانهم بالدين ، ومن ثم على الطبيعـــة السياسيـــة للحـــرب التي اشتهرت في تاريخنا باسم " **حروب الردة** " والتي وصف هذا الطرف من أطرافها بوصف " المرتدين " !

لكن ... من الحق ومن الواجب أن نسأل : إذا كان الأمر كذلك ، فلم اشتهر وصف هذه القبائل المسلمة " الردة " وسموا " **بالمرتدين** " ، هكذا على الاطلاق ، ودون التمييز بين " الردة " عن الدين ، بالكفر ، وبين " **الردة** " عن الوحدة السياسية ، بالانفصال السياسي والانشقاق الاداري؟! ..

من الحق أن نسأل هذا السؤال .. ومن حسن الحظ أنه قد طرح في تراثنا القديم ، وأجاب عليه عدد من أئمة الفكر وأعلام المؤرخين إجابة تزكيها وتتفق مع مضمونها كل الاتفاق .. لقد طرح " ابن أبي الحديد " هذا السؤال ، وأجاب عليه .. قال : " .. لم قلت : إن الذين قاتلهم " أبو بكر " وأصحابه كانوا مرتدين ؟! فإن المرتد من ينكر دين الاسلام بعد أن كان قد تدين به ، والذين منعوا الزكاة لم ينكروا أصل دين الاسلام ، وإنما تأولوا وأخطأوا لأنهم تأولوا قول الله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم) .. فقالوا إنما ندفع زكاة أموالنا إلى من صلاته سكن لنا ، ولم يبق بعد وفاة النبي من هو بهذه الصفة ، فسقط عنا وجوب الزكاة ، وليس هذا من الردة في شيء ، وإنما سماهم الصحابة أهل الردة على

سبيل المجاز ، أعظاما لما قالوه وتأولوه! .. [1] .

فهل بعد ذلك شك في الطابع السياسي لقتال تلك الحرب ؟ وفي الطبيعة السياسية لذلك الصراع العنيف ؟ .. وهل يستطيع لفظ " الردة " أن يحجب هذه الطبيعة السياسية عن أعين الباحث وعقل المتأمل لذلك الصراع ؟ لا نعتقد . بل ولا نظن! ..

٣ ـ حروب الفتوحات :

أما حروب الفتوح التي نهضت بها الدولة العربية الاسلامية ، وخاصة على عهد " عمر بن الخطاب " ، فإن وضوح طابعها السياسي وانتفاء شبهة الحرب الدينية عنها ، لا يحتاج إلى تفصيل حديث .. فهي فتوحات لم تفرض عقيدة الاسلام ، وإنما امتدت بحدود الدولة السياسية إلى ما وراء شبه الجزيرة العربية ، وهي قد تركت لأهالي البلاد المفتوحة حريتهم في الاعتقاد مسيحيين كانوا أم يهودا أم مجوسا ، بل لقد أتاحت لهم من الحريات الاعتقادية والدينية فوق ما كانوا يتمتعون به قبل هذه الفتوحات .. فقد فرضت عليهم ضريبة زهيدة مقابل إعفائهم من ضريبة الجندية والقتال ، لأمر اقتضاه أمن الدولة الناشئة وطبيعة التكوين العربي لجيشها المقاتل وعزوف أغلب أهالي البلاد المفتوحة عن جرفة الجندية والقتال ، ومن شارك من أبناء البلاد المفتوحة ، وهو على دينه ، في القتال سقطت عنه هذه الجزية (ضريبة الجندية والقتال) ...

وفتوحات تترك أهل البلاد المفتوحة على عقائدهم الدينية .. وقتال لا يدخل

---

(١) شرح نهج البلاغة . جـ ١٣ ص ١٨٧ .

المهزوم في دين المنتصر هو أدخل في السياسة إلى الحد الذي لا يحتاج في إثبات طبيعته هذه إلى دليل ، وأبعد عن القتال الديني بعد الإكراه والقسو عن أن يكون وسيلة للتصديق القلبي والاقتناع الحر واليقين الباطني الذي لا يرقبه سوى علام الغيوب ..

ويؤكد الطابعَ السياسيَّ لقتال حرب الفتوحات هذه ذلك الطابعُ التحريريُّ والمضمون الوطني الذي برز كمحتوى لعملياتها ومعاركها .. فالصراع الحضاري العنيف كان قائما وتاريخيا بين الغرب والشرق منذ قرون ، وكانت " روما " فيه طرفا وفارس هي الطرف الثاني ، وحروبهما ، بما أسفرت عنه من هزائم وانتصارات ، هي المد والجـــزر الذي تمثلت فيه علاقات القوى بين الفريقين .. وكانت فتوحات " الاسكندر المقدوني " (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) قد حسمت إحدى جولات هذا الصراع ، لحساب الغـــرب والبيزنطيين ، وأصبح " الفرس " عاجزين عن قيادة الشرق في هذا الصراع ، وعن النهوض بعبء تحـــرير الشام ومصـــر والمغـــرب من سيطرة الروم ، فكان ظهور " الاسلام " ، بما أحدث من آثار سياسية ، ايذانا بتولي العنصر العربي زمام القيادة للشرق في هذا الصراع القديم المتجدد ، ومن ثم كانت تلك الفتوحات العربية حركة تحرير لهذه البلاد المفتوحة من حاميات الروم البيزنطيين ، أعان العرب المسلمين فيها وساعدهم أهل البلاد الأصليون ، مع احتفاظهم بدياناتهم القديمة ، بل مع اشتراكهم مع الروم البيزنطيين في الإيمان بدين المسيح ! .. وعلى الجانب الشرقي كان فتح العراق العربي تحريراً له من سيطرة فارسية ظاملة ، وكان فتح فارس انهاء لنظام اجتماعي فاسد ، غدا فساده ثغرة في جدار الشرق مكنت منه

الغزاة ، وغدت مظالمه قيدا يحول دون أهل فارس ودون الابداع الحضاري الذي أهلهم له التاريخ والتراث الذي يملكون .

فهي حرب تحرير .. وهو قتال سياسي . اقتضته شؤون الدولة وضرورات الصراع العالمي بين الشرق الفتي والغرب المتقهقر .. وليس فيه من الدين والحرب الدينية سوى الأعلام والرايات التي حارب تحت ظلالها المقاتلون .

٤ ـ الحروب بين المسلمين :

استخدم المسلمون العنف في صراعاتهم الداخلية ، أول ما استخدموه ، في ثورتهم التي انهت عهد الخليفة الثالث " عثمان بن عفان " ، وانتهت بقتله ، عليه رضوان الله .. ولم يقل أحد يعتد برأيه من مفكري الاسلام أن طرفا من أطراف هذا الصراع العنيف قد كفر ، أو أن هذا الصراع كان دينيا يستهدف منه طرف فرض عقيدة على الطرف الآخر ، بل أطبق الاجماع على أنه كان صراعا سياسيا واجتماعيا استهدف الثوار منه تغيير المظالم التي حدثت ، وعزل الولاة الذين استبدوا ، وخلع الخليفة الذي عجز عن تنفيذ مطالب الثوار ..

وفي عهد الخليفة الراشد الرابع " علي بن أبي طالب " حدثت أول الحروب الحقيقية التي كان طرفاها من المسلمين ! .. ففي موقعة " الجمل " كان عليٌّ وأنصاره في جانب ، و " طلحة بن عبيد الله " ، و " الزبير بن العوام " ـ وهما من العشرة الذين تكونت منهم هيئة (المهاجرين الأولين) ـ وأم المؤمنين " عائشة " ، وأنصارهم في الجانب الآخر .. ولم يقل أحد يعتد برأيه من مفكري الاسلام أن طرفا من أطراف هذه الحرب تد كفر بالله ، أو بدل دينه ..

بل اجمعوا على الطبيعة السياسية لهذا القتال ، فهو قتال على منصب الخلافة ، وعلى وجهات النظر التي يراها كل فريق في علاج المشكلات السياسية والاجتماعية التي تفجرت بالثورة على " عثمان " وبعدها .. بل لقد كان المنتصر والقاتل يصليّ على المهزوم والقتيل ، ويدفنه في مقابر المسلمين ، ويطلب له الغفران والرحمة من الله ! ..

وفي القتـــال بين " علي " و " معـــاوية " .. كاد اجماع المسلمين أن ينعقد على أن " معاوية " وأنصاره يمثلون " **الفئة الباغية** " على امير المؤمنين " علي " وأنصاره ، وعلى أن قتال هذه الفئة واجب حتى تفيء إلى أمر الله .. ومع ذلك فهم مؤمنون مسلمون ، وقتالهم سياسة بلغت مرحلة العنف المسلح ، وليست دينـــا ، لأن الفريقين أبنــــاء دين واحــد ، يؤمنون بإله واحد ، ويشهدون بنبوة " محمد " ، ويحتكمون إلى القرآن ، ويصلون إلى ذات القبلة الواحدة .. وليس بعد شهادة " علي بن أبي طالب " بإيمان خصومه هؤلاء شهادة تقطع بالطبيعة السياسية لهذا القتال ، وتنفي عنه أية شبهة دينية .. فلقد سأل " أبو سلامة الدالاني " ـ وهو من أصحاب علي ـ سأله عن أمر " معاوية " وصحبه ، فقال :

ـ يا أمير المؤمنين ، أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا به من هذا الدم ـ (أي دم عثمان بن عفان) ـ إن كانوا أرادوا الله بذلك ؟

ـ نعم !

ـ وترى لك حجة بتأخيرك ؟ !

ـ نعم ! .. إن الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوط وأعود نفعا ..

ـ فما حالنا وحالهم إن ابتلينا بقتال غدا؟!

ـ اني لأرجو ألا يقتل أحد نقى قلبه ، منا ومنهم ، ألا أدخله الله الجنة ! (١) .

فهو قتال سياسي بين فرقاء اختلفت وجهات نظرهم في السياسة ، والحكم على المواقف فيها داخل في نطاق الخطأ والصواب وليس في إطار الكفر والإيمان .. بل إنه بنص كلمات " علي بن أبي طالب " ، قتال بين أهل الجنة ؟! فلم يكن علي يشك في عقيدة خصومه أو يشكك في إيمانهم ، وهو الذي يعلم براءة الاسلام من تخويل البشر سلطات دينية تحكم على العقائد والضمائر والقلوب .. ولذلك فهو يتحدث عن "إيمان" خصومه الذي لا يشك فيه ، فيقول : " **لقد التقينا ـ (في القتال) ـ وربنا واحد ، ونبينا واحد ، ودعوتنا في الاسلام واحدة ، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدونا . والأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه براء !** (٢) ... " .. فليس هناك خلاف ، يتقاتلون عليه في : التوحيد ، ولا النبوة ، ولا دعوة الاسلام وعقائد دينه .. بل إنّ " الأمر " ، أي السياسة ، هو موطن الخلاف ، ولا خلاف فيه بينهما إلا في الموقف من قتل " عثمان بن عفان " .. فهي قضية سياسية أثارت قتالا سياسيا بين فرقاء كلهم مؤمنون ومسلمون . .

---

(١) الباقلاني (التمهيد) ص ٢٢٧ . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧ م .

(٢) شرح نهج البلاغة . جـ ١٧ ص ١٤١ .

وعندمـــا يقحم نفـــر من " الخوارج " في ساحة الصراع مصطلحات " **الكفر** " و " **الكفار** " ، يصفون بها عقيدة " معاوية " وأنصاره ، فيبدو أن موجة الانحراف الفكري الذي أصاب الكثير من فرق الاسلام ومدارسه الفكرية عندما جعلوا السياسة دينا ، والخطــأ كفــراً والذنب شركا بالله .. عندما يبدأ " الخوارج " ذلك الانحراف الذي يخلط أمر الدنيا بأمر الدين ، يتصدى لهم الامام " علي " فيعلن قوله : " **إننا ، والله ، ما قاتلنا أهل الشام على ما توهم هؤلاء – (الخوارج) – من التكفير والفراق في الدين ، وما قاتلناهم إلا لنردهم إلى الجماعة .. وإنهم لاخواننا في الدين ، قبلتنا واحدة ، ورأينا : إننا على الحق دونهم** [1] ... **لقد أصبحنا نقاتل إخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل**[2] ... " .

" فعليّ " يقرر أنه يقاتل " **إخوانه في الاسلام** "! .. وهم جميعا دينهم واحد وقبلتهم واحدة .. وليس هناك كفر ولا تكفير لفريق من الفرقاء ، أو زعم بفراقه للدين .. فقط إن الخلاف في " **الرأي** " ، أي في السياسة .. فالحرب إذن سياسية والقتال من ثم سياسي لا علاقة له بعقائد الدين ..

هكذا كانت حروب الاسلام ، وهكذا كان قتال المسلمين .. حماية للدعوة وتأمينا للدعاة ، وصدا للفتنة عن الدين ، وثأراً وطنيا يسترجعون به وطنهم الذي أخرجهم منه المشركون ... وقتالا قوميا يستعيدون به وحدة الدولة التي صدع وحدتها " المرتدون " عن الوحدة القومية التي تبلورت للعرب بظهور الاسلام ..

---

(١) التمهيد . ص ٢٣٨ .

(٢) علي بن أبي طالب (نهج البلاغة) ص ١٤٧ . طبعة دار الشعب . القاهرة .

وحربا لبناء الامبراطورية وتحرير الشرق من استعمار الروم البيزنطيين ... وصراعا على الخلافة أثاره الاختلاف في " الرأي " وتعدد المناهج في حل مشاكل الاقتصاد والاجتماع ...

هكذا كانت حروب المسلمين في صدر الاسلام ، ومثلها - في الطبيعة والأهداف - كانت كل الحروب التي نشبت بين الفرق الاسلامية على امتداد التاريخ الطويل للاسلام والمسلمين ... وكما يقول الامام " محمد عبده " : فلقد " كان المشركون يبدأون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم . ولو لم يبدأوا في كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول من بلده وفتنة المؤمنين وايذائهم ، ومنع الدعوة ، كل ذلك كان كافيا في اعتبارهم معتدين . **فقتال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كله مدافعة عن الحق وأهله ، وحماية لدعوة الحق** ، ولذلك كان تقديم الدعوة شرطا لجواز القتال ، **وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان** .. والله ، تعالى ، يقول : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ويقول : (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟!)[1] . **وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين فالله ، تعالى ، لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع والكسب** ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ، ومنع المسلمين من تغلب الظالمين ، لا لأجل العدوان ، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الاسلام ، ويؤذون من يظفرون به من المسلمين ،

---

(١) يونس : ٩٩ .

وكان الفرس أشد ايذاء للمؤمنين منهم . وما كان بعد ذلك من الفتوحات الاسلامية اقتضته طبيعة الملك ، ولم يكن كله موافقا لأحكام الدين ، فإن من طبيعة الكون أن يسط القويّ على جاره الضعيف ، ولم تعرف أمة أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية ، شهد لها علماء الإفرنج بذلك[1] .. ولم يسمع في تـــــاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين والاشاعرة ، مع الاختلاف العظيم بينهما ، ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة ، مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة ، سلفيين وأشاعرة ، كما لم يسمع بأن الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج ، كما وقع من القرامطة وغيرهم ، وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد ، وإنما أشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة ، ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة .. وأمّا ما كان من حروب الأمويين والهاشميين فهي حرب على الخلافة ، وهي بالسياسة أشبه ، بل هي أصل السياسة ! .. نعم ، وقعت حروب في الأزمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة ، وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية ، وبين الحكومة العثمانية والوهابيين . ولكن يتسنى لباحث بأدنى نظر أن يعرف أنها كانت حروبا سياسية ، ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم ، مع بقاء الاختلاف في العقيدة بين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين[2] .. لقد شهـر المسلمون

---

(١) الأعمال الكاملة للامام محمد عبده . جـ٤ ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٢) المصدر السابق . جـ ٣ ص ٢٥١ .

سيوفهم دفاعا عن أنفسهم ، وكفا للعدوان عنهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك . ولم يكن من المسلمين مع غيرهم إلا أنهم جاوروهم ، فكان الجوار طريق العلم بالاسلام ، وكانت الحاجة لصلاح العقل والعمل داعية الانتقال إليه! ... [1] "

هكذا كانت طبيعة الحرب وطبيعة القتال في الاسلام .. سياسية تماما ، ومدارها الدنيا والدولة وشؤونهما ، ولا شبهة تلحقها بحرب العقائد الدينية التي تستهدف فرض الإيمان والاكراه في الدين .



---

(١) المصدر السابق . جـ ٣ ص ٤٦٢ .

مقام الوطن
والحرب الوطنية في الاسلام

فلا عجب إذن أن نرى للوطن والوطنية مقاما عاليا في فكر الاسلام .. ذلك أن الذين يقولون بالسلطة الدينية ووحدة السلطتين الدينية والزمنية يغضون من شأن " النزعة الوطنية " بل لقد رأينا منهم من يتحدث عنها كصنم أو طاغوت يعبدها الوطنيون في المجتمع الحديث ويشركونها في العبادة مع الله؟! .. أما الذين يقولون بالطبيعة المدنية لسلطة الدولة في الاسلام ، وبرفض الفكر الاسلامي للسلطة الدينية والحكم بالحق الالهي فإنهم لا يعجبون من اجلال الاسلام واعظام فكره السياسي لمقام الوطن والوطنية وحث أمته وأهله على الاهتمام بهما إلى هذا الحد الكبير .. فما دامت السلطة ذات طبيعة مدنية ، فإن صراعاتها ، ومنها القتال ، لا بد وأن تكون مدنية الطبيعة ، فهو قتال سياسي إذن ، حتى وإن أطلق عليه : **القتال في سبيل الله .. بل إنّ جعله في سبيل الله يصبح شهادة تمجيد واعظام وتقديس للقتال في سبيل الوطن والحرب دفاعا عن حوزة الأوطان ! .. وكيف لا .. والله يجعل قتالنا السياسي**

العادل وحربنا الوطنية المشروعة ، ونضالنا المسلح لحماية الوطن وصون استقلاله جهادا في سبيله وقتالا يبتغي به المقاتلون وجهه ورضوانه؟! ..

بل لقد جعل الاسلام ، في قرآنه الكريم ، الموقف من " القضية الوطنية " معيارا يحدد للمسلمين من تجوز لهم مودته ومصادقته والبر به ، ومن لا يجوز لهم إنزاله منازل الأصدقاء والأوداء ، من غير المسلمين .. فنهانا نهيا قاطعا عن أن نصادق أو ننصر أولئك الذين يعتدون على ديارنا ، أو يخرجون منها أبناءها المسلمين .. قال : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدويّ وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، **يخرجون الرسول** وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم أن كنتم خرجتم جهـــادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل)[1] .. فالذين يخرجون المسلمين من أرضهم وينتزعونهم من ديارهم ويقتلعونهم من أوطانهم هم أعداء الله كما هم أعداء لهؤلاء المسلمين أصحاب " **القضية الوطنية** " .. بل إن تكامل الأمة الاسلامية ووحدتها العضوية يفرض على كل أبنائها أن يقفوا موقف العداء من أية قوة تخرج أي جماعة مسلمة من وطنها .. **والاخراج من الوطن هنا لا يعني التهجير الاضطراري فحسب ، بـــــل يشمل عـــــزل المسلمين عن أن تكون لهم السيادة الفعلية والفعالة في أوطانهم ، لأنه إخراج لهم من ديارهم حتى ولو كانـــــوا بأجسادهم فيها يعيشون ؟!** .. إن أية قوة تصنع ذلك بأية جماعة مسلمة ، بل بأي مسلم ولو انفرد ، هي عدوة لله ، لأن الاسلام قد رفع العداء

---

(١) الممتحنة : ١ .

في القضية الوطنية إلى مرتبة العداء لله ، كما جعل القتال في سبيلها قتالا في سبيل الله .. والله قد نهانا أن نصادق أعداءنا في الوطنية ، فليس لهم عندنا مودة أو موالاة أو نصر بأي حال من الأحوال .

وفي آية أخرى من آيات القرآن الكريم يحدثنا الله سبحانه عن من تجوز مصادقته من المخالفين لنا في الدين ؟ وعن من لا تجوز مصادقته من هؤلاء المخالفين ؟ .. فإذا نحن مطالبون بأن لا نصادق ثلاث فئات :

أ ـ **الذين يقاتلوننا في الدين** ، بالحيلولة ـ بالقتال والصراع العنيف ـ بيننا وبين حرية الدعوة وأمن الدعاة .. أي يقاتلون ضد حرية الضمير والاعتقاد ..

ب ـ **والذين يخرجون المسلمين** ، **أو بعضهم** ، من ديارهم ، على أي نحو كان هذا الاخراج ، تهجيرا بالاضطهاد ، أو عزلا عن امتلاك خيرات الوطن والتحكم في مقدراته نتيجة للاحتلال أو الاستغلال! ..

جـ ـ والذين يظاهرون ، **أي يساعدون** ، **مجرد المساعدة** ، **على إخراج المسلمين من ديارهم وأوطانهم** ، على أي نحو كانت المظاهرة والمساعدة في القهر الوطني من هؤلاء الأعداء المسلمين! .

نعم .. يوجـــز لنا الله ، سبحانه أوامره تلك ويلخص لنا وصاياه هذه في قوله : لاينهاكم الله عن الذين **لم يقاتلوكم في** الدين **ولم يخرجوكم من دياركم** أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين **قاتلوكم** في الدين، **وأخرجوكم** من دياركم ، **وظاهروا على**

إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون[1] ..

فللمسلمين أن يقيموا **علاقات البر والمودة** مع مخالفيهم في الدين إذا هم لم يفتنوهم ، بالقتال ، عن دينهم ، ولم يخرجوهم من أرضهم ، **ولهم أن يقسطوا** إلى هؤلاء المخالفين .. بل لقد فسر بعض أئمة التفسير " **القسط** " هنا بما هو أكثر من "**العدل** " ، لأن العدل واجب على المسلمين " **فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل!** " .. وقالوا أن معنى (وتقسطوا إليهم) : " أي تعطوهم قسطا من أموالكم على وجه الصلة[2] " .. إلى هذا الحد تجب المودة ويلزم البر ويتعيّن القسط للذين لا يتخذون من أوطاننا وقضيتنا الوطنية موقف عداء .. وفي المقابل ينهانا الله عن تولّي ، مجرد التولي ، لمن يتخذون موقفا عدائيا من قضايانا الوطنية ، مباشرة كان عداؤهم هذا أو بمجرد مظاهرتهم ومناصرتهم لهؤلاء الأعداء ! ..

استقلال الوطن هو الحياة
وضياعه هو الموت؟!..

بل لقد بلغ القرآن بقضية الوطن وعقيدة الوطنية الذروة عندما جعل الحفاظ على استقلال الوطن والدفاع عن حوزته ، بشجاعة أهله واستبسالهم : الأمر الذي يحقق للمواطنين المعنى الحقيقي للحياة ! .. وبالمقابل جعل الجبن والفرار والتفريط في حرية الوطن واستقلاله : موتا لهؤلاء المواطنين الذي فرطوا في

---

(١) الممتحنة : ٨ ، ٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن . جـ ١٨ ص ٥٩ .

وطنهم وأهملوا مشاعرهم الوطنية .. فهم بفقدانهم استقلال وطنهم أموات في هذا الوطن ، حتى وإن كانوا يعيشون ويأكلون ويشربون! .. لأن فقد الاستقلال يساوي ويعني فقد المعنى الحقيقي للحياة ! ..

يقرر القرآن ذلك .. ويضرب عليه المثل من قصص الأولين وتاريخ الغابرين : (ألم ترَ إلى الذين **خرجوا من ديارهم** ، وهم ألوف ، حذر الموت! فقال لهم الله موتوا ، ثم أحياهم ! إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم)[1] .. فهم لم ينهزموا من قلة ، فهم ألوف ، وإنما انهزموا من خور وحذر من الموت وضعف أصاب شجاعتهم ووطنيتهم ، فخرجوا من ديارهم ، فارين مهاجرين ، أو معزولين عن حكمها والتحكم في أمرها والاستمتاع بخيراتها ، رغم بقاء أجسادهم فيها .. فكان ذلك بمثابة أمر تكويني من الله بموتهم! .. فلما ثابوا إلى رشدهم ، وتعهدوا عاطفتهم الوطنية بالنماء ، فاحتموا بها وتسلحوا بأسلحتها ، واستردوا وطنهم واستعادوا استقلاله ، كانت لهم الحياة (ثم أحياهم)؟!.. بل لقد زكت الآية الكريمة ذلك الاستقلال الوطني ، الذي هو الحياة ، بوصفها إياه بأنه من " فضل " الله على الناس ، وتحدثت الآية التالية لها عن أن صون هذا الاستقلال ، والحفاظ على هذه الحياة رَهْنٌ بالقتال : (**وقاتلوا**) .. ثم جعلت هذا القتال الذي يستهدف استقلال الوطن وعودة الروح والحياة الوطنية : قتالا **في سبيل الله!** ..

---

(١) البقرة : ٢٤٣ .

تلك هي الذروة التي بلغها الوطن والوطنية في آيات القرآن الكريم ، وتلك هي القدسية التي أضفاها الاسلام على القتال السياسي ، لا الديني ، في سبيل الوطنية واستقلال الأوطان . جعل الحياة في وجودها ، كما جعل في فقدانها الموت والعدم والفناء ! ..

وليطمئن القلب وتزداد القناعة ويرسخ اليقين ، لنقرأ كلمات الامام " محمد عبده " التي كتبها عندما وقف امام هذه الآيات من كتاب الله : " .. تلك سنة الله تعالى في الأمم التي تجبن فلا تدفع العادين عليها .. وحياة الأمم وموتها ، في عرف الناس جميعهم معروف ، فمعنى موت أولئك القوم هو أن العدو نكل بهم فأفنى قوتهم ، وأزال استقلال أمتهم ، حتى صارت لا تعد أمة ، بأن تفرق شملها ، وذهبت جامعتها ، فكل من بقي من أفرادها خاضعين للغالبين ضائعين فيهم ، مدغمين في غمارهم ، لا وجود لهم في أنفسهم ، وإنما وجودهم تابع لوجود غيرهم ، ومعنى **حياتهم هو عودة الاستقلال اليهم ! .. إن الجبن عن مدافعة الأعداء ، وتسليم الديار بالهزيمة والفرار ، هو الموت المحفوف بالخزي والعار ، وإن الحياة العزيزة الطيبة هي الحياة الملية — (الوطنية) — المحفوظة من عدوان المعتدين .. والقتال في سبيل الله .. أهم من القتال لأجل الدين ، لأنه يشمل ، أيضا ، الدفاع عن الجوزة إذا هم الطامع المهاجم باغتصاب بلادنا والتمتع بخيرات أرضنا ، أو أراد العدو الباغي إذْلالنا ، والعدوان على استقلالنا ، ولو لم يكن ذلك لأجل فتنتنا عن ديننا .. فالقتال لحماية الحقيقة كالقتال لحماية الحق ، كله جهاد في سبيل الله .. ولقد اتفق الفقهاء على أن العدو**

إذا دخل دار الاسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين[1] ! "

هكذا تناول الاسلام قضية الحرب والقتال .

فهـو عندمـا أنكـر " **الكهانة والكهنوت** " أنكر وجود السلطة الدينية في سياسة المجتمعات .. ومن ثم كانت الحـرب فيه " **سياســة** " .. وليست " **دينا** " ، لأنها إحدى وسائل العمل السياسي ، فهي امتداد للسياسة لكن بأدوات العنف في الصراع ! .

وهو عندما قرر أن (لا إكراه في الدين) نفى ورفض أن يكون القتال سبيلا لتحقيق " الإيمان " ، الذي هو يقين باطني وتصديق قلبي لا يتحصَّل إلا بالاقناع ولا يتحقق إلا بالاقتناع .. ومن ثم نفى ورفض أن يكون هناك قتال ديني لنشر الدين وفرض الإيمان !

وهو عندما جعل للقضية الوطنية ـ العيش في الوطن الحر أحرارا ـ مكانا عاليا في فكره ، وفي قرآنه الكريم ، حتى كادت أن تكون محور القتال المشروع فيه ، إنما كان يرفع من قدر الوطنية ويُعلي من مكان الوطن ، ومن ثم يقدس القتال الذي شرعه ودعا إليه سياجا يصون به المسلمون أوطانهم من الأعـداء والطامعين .

وناهيك بفكر يجعل القتال في سبيل الوطن جهاداً في سبيل الله ! ..

---

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده . جـ ٤ ص ٦٩٥ ـ ٦٩٩ .

المراجع

ابن أبي الحديد : (شرح نهج البلاغة) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .

طبعة الحلبي . القاهرة .

ابن تيمية : (منهاج السنة) طبعة القاهرة ، ١٩٦٢ م .

ابن منظور : (لسان العرب) طبعة القاهرة .

الباقلاني : (التمهيد) طبعة القاهرة ١٩٤٧ م .

التهانوي : (كشاف اصطلاحات الفنون) طبعة القاهرة ١٩٦٣ م .

الجرجاني : (التعريفات) طبعة القاهرة ١٩٣٨ م .

الزمخشري : (الكشاف) طبعة الحلبي . القاهرة .

الطبري (محمد بن جرير) : (تاريخ الطبري) طبعة دار المعارف . القاهرة

علي بن أبي طالب (الإمام) : (نهج البلاغة) طبعة دار الشعب . القاهرة .

الغزالي : (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) طبعة القاهرة ١٩٠٧ م .

القرطبي : (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكتب المصرية .

مجمع اللغة العربية ـ القاهرة : (المعجم الوسيط) .

محمد عبده (الإمام) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق : دكتور محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٤ م .

محمد فؤاد عبد الباقي : (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) طبعة دار الشعب . القاهرة .

النويري : (نهاية الأدب في فنون الأدب) طبعة القاهرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للمؤلف :

تأليف :

١ ـ المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية .
٢ ـ الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية .
٣ ـ المعتزلة وأصول الحكم .
٤ ـ المعتزلة والثورة .
٥ ـ الإسلام وأصول الحكم (دراسة ووثائق) .
٦ ـ مسلمون ثوار .
٧ ـ نظرة جديدة إلى التراث .
٨ ـ المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد .
٩ ـ معارك العرب ضد الغزاة .
١٠ ـ عندما أصبحت مصر عربية .
١١ ـ القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب .
١٢ ـ فجر اليقظة القومية .
١٣ ـ العروبة في العصر الحديث .
١٤ ـ الأمة العربية وقضية التوحيد .
١٥ ـ اسرائيل .. هل هي سامية ؟ .
١٦ ـ الجامعة الاسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل .
١٧ ـ الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب .
١٨ ـ العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب .
١٩ ـ عمر بن عبد العزيز .
٢٠ ـ الاسلام والثورة .
٢١ ـ الاسلام والسلطة الدينية .
٢٢ ـ الاسلام والوحدة الوطنية .
٢٣ ـ نظرية الخلافة الاسلامية .
٢٤ ـ الاسلام والحرب الدينية .
٢٥ ـ العرب والتحدي

دراسة وتحقيق :

٢٦ ـ الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني جـ١ ـ ٤

٢٧ ـ الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي جـ١ ـ ٦

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ١ ـ ٦

٢٩ ـ الأعمال الكاملة لعلي مبارك جـ١ ـ ١٠ .

٣٠ ـ الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي .

٣١ ـ الأعمال الكاملة لقاسم أمين .

٣٢ ـ رسائل العدل والتوحيد (لمجموعة من أئمة المعتزلة) جـ١ ـ ٢ .

٣٣ ـ فصل المقال (لابن رشد) .

٣٤ ـ الاسلام والمرأة في رأي الإمام محمد عبده .

٣٥ ـ التوفيقات الإلهامية .

تحت الطبع :

٣٦ ـ الاسلام والعقل .

٣٧ ـ المعتزلة : أهل العدل والتوحيد .

٣٨ ـ الاسلام والعلم .

٣٩ ـ ثورة الزنج .

٤٠ ـ تراثنا في الاقتصاد .

٤١ ـ الاسلام وقضايا العصر .

٤٢ ـ ويسألونك في الدين والدنيا .

٤٣ ـ العروة الوثقى .

٤٤ ـ تيارات الفكر الاسلامي .

الفهرس

صادرات دار علاء الدين

١ ـ الحمضيات
.... م. طه الشيخ حسن

٢ ـ أعشاب الشفاء
.... د. ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٣

٣ ـ أسرار الكون
.... عدة علماء ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٤ ـ أطلس العمليات الجراحية
.... فائز طريفي ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥ ـ حدائق النوافذ
.... جون براغن

٦ ـ طبيب نباتات الزينة
.... حازل ايفاس والكان عوم

٧ ـ تقليم وتربية أشجار الفاكهة
.... طه الشيخ حسن ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٨ ـ هرمونات النمو الزراعية
.... نزار كاخي ـ دمشق ـ ١٩٩

٩ ـ دليل الحامل
.... دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٣

١٠ ـ دليل مريض السكر
.... دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٠

١١ ـ البيوت الزراعية
.... لان ولز

١٢ ـ جراحة القلب
... د. كمال عامر ـ د . اسماعيل الخطيب

١٣ ـ الطريق إلى الصحة
.... زويا ميخائيلنكو ـ دمشق ـ ١٩٩٠

١٤ ـ الطب الشعبي ومجالاته
...... جارويس فيرمونت ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٥ ـ علاج الأمراض الجلدية بالأعشاب
.... داتسكوفسكي ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٦ ـ فوائد عصير الخضار والفواكه
.... نورمان وكمر ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٧ ـ الأجسام الطبيعية
.... كيتا بجوردوسكي

١٨ ـ القوة العصبية
.... بول بريغ ـ دمشق ـ ١٩٩٢

١٩ ـ كيف تقوي بصرك
..........ايلا فلاديمير ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٢٠ ـ كيف تكونين جميلة
.... زويا ميخائيلنكو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢١ ـ العناية الخاصة بالمرضى
.... م . ميليتش

٢٢ ـ المساج النقطي
.......زويا ميخائيلكنو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢٣ ـ مشاريع الإنتاج الحيواني
........د. سلامة شقير ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٢٤ ـ موسوعة الطيور
.... مجموعة باحثين ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٢٥ ـ المأكولات الشهية للشعوب الشرقية
.... ميلنسيك ـ ١٩٩٣

٢٦ ـ تطعيم أشجار الفاكهة وإكثارها
...... طه الشيخ حسن ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٢٧ ـ الحدث التوارتي

.... فراس السواح ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٢٨ ـ ذكراه في القلب

...............آنا غاغارين ـ ترجمة

...............محمد بدرخان ـ دمشق ـ ١٩٩٠

٢٩ ـ دين الإنسان

.... فراس السواح ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٣٠ ـ رموز مقدسة

............نيقولاي ريريخ ـ ترجمة

.......د. ماجد علاء الدين دمشق ـ ١٩٩٣

٣١ ـ آرام دمشق واسرائيل

.... فراس السواح ـ دمشق ١٩٩٥

٣٢ ـ لغز عشتار

.... فراس السواح ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٣٣ ـ مغامرة العقل الأولى

.... فراس السواح ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٣٤ ـ ملحمة الزمن

.... اناتولي سافروفوف ـ ترجمة د.

.........ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٣٥ ـ برتراند رسل

.... سمير عبده ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٣٦ ـ بدايات الحضارة

...... عبد الحكيم الذنون ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٣٧ ـ البلدان النامية والعلاقات الإقتصادية

..........أ. س. بورتيانكوف ـ ترجمة

.......د. ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٨٤

٣٨ ـ تاريخ القانون في العراق

...... عبد الحكيم الذنون ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٣٩ ـ التحليل النفسي للأقوال المأثورة

.... سمير عبده

.................ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٤٠ ـ تحضير الكيك والكاتو

مرغريت باتن ـ ترجمة فاتن عمران ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٤١ ـ جلجامش

.... فراس السواح ـ دمشق ـ ١٩٩١

٤٢ ـ الجنس في العالم القديم

بول فرشياور ترجمة فائق دحدوح ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٤٣ ـ الصحافة السورية بين النظرية والتطبيق

..... د. عدنان ابو فخر ـ دمشق ـ ١٩٨٤

٤٤ ـ صفحات من تاريخ فن الرقص في العالم

.... فائق شعبان ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٤٥ ـ طقوس الجنس المقدس

...... ترجمة نهاد خياطة ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٤٦ ـ العرافة وسوسة أم ..؟

ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٤٧ ـ مدخل إلى علم تصنيف المكتبات

.... برجس عزام ـ دمشق ـ ١٩٨٦

٤٨ ـ المأكولات الشهية للشعوب الشرقية

..... ف. م. ميلينيك ـ ترجمة سميح شيا

.... دمشق ـ ١٩٩٢

٤٩ ـ نحن والأبراج

... ترجمة دار علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٠ ـ نظرية الدولة في الفكر العربي

.... محمد علي جمعة ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥١ ـ شريعة حمورابي

مجموعة من المؤلفين ـ ترجمة اسامة سراس

.... دمشق ـ ١٩٩٣

٥٢ ـ الديانة الفرعونية

واليس بدج ـ ترجمة نهاد خياطة ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٥٣ ـ أزمة العالم

فيدل كاسترو ـ ترجمة نصر الشمالي ـ دمشق

ـ.................................. ١٩٨٩

٥٤ ـ الأخوة كينيدي

.... غروميكو ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٥ ـ البيت الأبيض وأسرار المخابرات الأمريكية .

..... ك. ف. بتروسينكو ـ دمشق ـ ١٩٩١

٥٦ ـ مذكرات عن الإنقلاب العسكري

... ميخائيل غورباتشوف ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٥٧ ـ الأساطير والحقائق عن عائلة ستالين

...... ترجمة سميح شيا ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥٨ ـ ملحمة الرجال

..... احمد فرحات الناصر ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٥٩ ـ أسرار المدافن المصرية

.... اجاثا كريستي ـ ترجمة

...............مازن نفاع ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٦٠ ـ الشركس في فجر التاريخ

.... برزج سمكوغ ـ دمشق ١٩٩٥

٦١ ـ سيد درويش

.... احمد بوبس ـ دمشق ـ ١٩٩٤

٦٢ ـ الزيتون

..... م . طه الشيخ حسن ـ دمشق ١٩٩٥

٦٣ ـ الوقواق والديك

.............ترجمة د. ماجد علاء الدين

.... دمشق ـ ١٩٨٥

٦٤ ـ الوقت الضائع

ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمسق ـ ١٩٩٢

٦٥ ـ قصص قصيرة

ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٦ ـ حكاية العملاق العجيب ـ جونغ

... ترجمة ريما علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٧ ـ قفزة

. ترجمة رسلان علاء الدين ـ دمشق ـ ١٩٩٢

٦٨ ـ الذئب والثعلب

.... ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ

.........................دمشق ـ ١٩٨٥

٦٩ ـ المرآة والقرد

ترجمة د. ماجد علاء الدين ـ دمشق . ١٩٨٥

٧٠ ـ اللؤلؤة النادرة

..... ترجمة اكرم أبو راس ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٧١ ـ حلوى الأطفال

..... ترجمة فاتن عمران ـ دمشق ـ ١٩٩٣

٧٢ - تيمور وفريقه

ترجمة د. ماجد علاء الدين - دمشق - ١٩٨٤

٧٣ - مغامرات بوراتينو

. ترجمة د. ماجد علاء الدين - دمشق - ١٩١٩٨٥

٧٤ - صفحات مجهولة من حياة تولستوي

.... ترجمة د. ماجد علاء الدين -

.........محمد بدرخان - دمشق - ١٩٨٦

٧٥ - من روائع الشعر الفرنسي

..... ترجمة سعد صائب - دمشق ١٩٩٥ .

٧٦ - لوركا

..... ترجمة سعد صائب - دمشق ١٩٩٥

٧٧ - عندما تغيب الأم

.... رجاء ارناؤوط - دمشق ١٩٩٥

٧٨ - المناضل الشجاع

...... رجء ارناؤوط - دمشق ١٩٩٥

٧٩ - الزهرات الشقيقات

.... باسمة الرهونجي - دمشق ١٩٩٥

٨٠ - سلسلة دانا

..... ناهدة الرهونجي - دمشق ١٩٩٥

٨١ - تعلم الطفل في الأسرة والمدرسة

...... اسماعيل اللحم - دمشق ١٩٩٥

كتب توزعها الدار

* المجاهد سعيد العاص

.... احمد يوسف داود - دمشق -١٩٩٠

* الميراث العظيم

...... احمد يوسف داود - دمشق - ١٩٩٠

* النظام المرابي العالمي

.... مجموعة من الباحثين - دمشق - ١٩٧٢

* الصليبيون في الشرق

...... ميخائيل زابوروف - دمشق - ١٩٨٧

* إرهابيو الموساد

..... فلاديمير ميخانيلوف - دمشق - ١٩٨٩

* الأثنوس والتاريخ

... ترجمة اسعد الفارس - دمشق - ١٩٨٨

* المصير العربي

.... خليل الجهمان -دمشق - ١٩٩٣

* موضوعات للذاكرة العربية

.... نصر الشمالي - دمشق - ١٩٩٤

* الإنفجار

.... راني باترا - دمشق - ١٩٩٠

* الاتحاد السوفييتي

..... فلاديمير بوكوفسكي - دمشق - ١٩٩٣

* حكي بردانين

.... جمال عبود - دمشق - ١٩٩٤



هذا الكتاب

يبحث مؤلف هذا الكتاب في أعماق مرحلة ظهور الاسلام ، مؤكدًا على أن طابع السلطة السياسية في المجتمع الاسلامي هي مدنية كليًا ، إذ لاتوجد كهانة في الاسلام ، وليس فيه ما يعرف بـ « السلطة الدينية » أو الحكم بالحق الإلهي .

ويتناول المؤلف موضوع النظام السياسي والاجتماعي وشؤون الحرب والتشريع ، كما طُبق في مختلف الأزمنة والأمكنة التي ساد فيها الاسلام .

هذا ويبين المؤلف الأسس التي تقوم عليها الحروب ، إذ يدعو الاسلام إلى القتال في حال إعتداء الآخرين . وسعيهم لفتنة المسلمين عن عقيدتهم .

يفيد هذا الكتاب أوساط واسعة من القراء .

الناشر

يطلب هذا الكتاب على العنوان التالي :

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتف : ٢٣١٧١٥٨ ـ ٥٦١٧٠٧١
تلكس : ٤١٢٥٤٥ ـ فاكس : ٢٣١٧١٥٩

